فيرون

زعيم الشكاك اليونان

للأستاذ محمد محمود زيتون

تتمة ما نشر في العدد الماضي

وفضلا عن ذلك ، فان التوقف لا يؤدى إلى الغاية التى ينشدها فيرون ، فاذا كانت تلك الغاية هى السعادة . والسعادة شعور النفس بها عند الانتقال من ضدها وهو الشقاء ، فان انعدام الشقاء انعدام للشعور بالسعادة ، وصدق الشاعر « وبضدها تتميز الأشياء » . وفيرون إنما سعد ليشقى .

ثم إنه لم يفهم الألوهية ، ولم يحاول فهمها ، وقد أوتى وسيلة الفهم وهى العقل ، وبذلك عطلها وأسقطها من حسابه ، أما الخضوع للعرف والدين والقانون خضوعا آليا فذلك مما لا يبرره عقل صحيح لأنه إذ يعترف بأنها أمور اتفاقية اصطلح الناس عليها فيما بينهم فقد اعترف ضمنا بأن للفرد حظا مشتركا فى إقامة صرح القانون ، فما أشبه فيرون هنا بعابد الصنم وهو من صنع يده .

وشك عندى فى أن فيرون قد تأثر كثيرا بالمذاهب الهندية القديمة ، وآية ذلك ما يقوله (فيكتور كوزان V Cousin) « كانت الحقيقة المطلقة عند (كاريكا Karika) هى الإفطار المطلق » كما أن الآلام عند البرهميين لا تأتى إلا من الآمال ، فالتزموا العزلة ، والفارق مع ذلك واضح بين الفيرونية والسفسطائية : كان السفسطائى منكرا لكل شىء ، ولكن فيرون لم ينف ولم يثبت . والسفسطة هدم للعلم ، والشك الفيرونى توقف ، والسفسطائيون كانوا يبتغون العز والجاه والأناقة وزهد فيرون كل ذلك . وهم لم ينتهجوا نهجا حين يسفسطون ، وهو على نهج واضح حين يشك .

وفيرون كان تلميذا لمترودور Métrodore القائل « لا نستطيع أن نعرف شيئاً بل نحن لا نستطيع أن نعرف إن كنا نعرف أو لا نعرف » وهو أيضا تلميذ لديمقريطس القائل « نحن لا نعرف من الحقيقة إلا ما يعرض لنا بحسب الحالة التى عليها أبداننا ، وبحسب طبيعة ما يرد على حواسنا وما يصدر عنها » .

والفارق بعيد أيضا بين فيرون وسقراط . فقد كان كاهن إيليس شكاكا sceptique ، كان فيلسوف أثينا مؤمنا dogmatique . اعتبر سقراط العلم ورده إلى العقل ، ورد إليه الأخلاق . أما فيرون فقال باللاأدرية وردها إلى الحس ، ورد إليها تعليق الحكم . وكان سقراط مضطهدا بينما كان فيرون محترما . وكلاهما — مع ذلك — زهد الحياة ، وبشر بتعاليم جديدة أثر الشخصية فى بثها أشد وأقوى من الثورة والدعوة ، وكلاهما خضع للعرف ، ولم يجار العامة فى دياناتهم . توسل سقراط إلى السعادة بالعلم والفضيلة ، وتوسل لها فيرون باللاأدرية واللامبالاة .

وأفلاطون اتهم الحواس التى لا يعلك فيرون غيرها . وأنكر أفلاطون الجزئيات وهي الوجودات عند فيرون ، حقائق الأشياء هى المثل عند أفلاطون ، وهى غير معروفة إطلاقا عند فيرون . والسعادة عند أستاذ تيمون فى اللامبالاة ، وعند أستاذ أرسطو فى الموت ، وهو التطهير . الخير عند فيرون وتلميذه صريح الشر وهو عند سقراط وتلميذه متحقق فى أعماق النفس نحس به .

وأرسطو يقول بالاعتدال فى كل الأمور ، وفيرون يقول بالتوقف والحياد ، وإزاء هذا المذهب الفيرونى العجيب يقف تيمون يناجى أستاذه فيقول :

« فيرون : أيها الكهل النبيل ! حدثنى كيف وبأى وسيلة عرفت سبيل التخلص من نير المذاهب المستعبدة ، والتعاليم السفسطائية الباطلة ؟ حدثنى كيف حطمت قيود الباطل ، والاعتقاد التقليدى . وأنت الذى لم يأل جهداً فى البحث عن طبيعة الهواء الذى يحيط ببلاد اليونان ، وعن طبائع الأشياء وعن غايتها التى تنتهى إليها جميعا »

ونرى من هذا كيف أن طرافة المذهب الفيرونى ترجع إلى جريان المذاهب السابقة عليه فى دمه ، واستحالتها إلى لون جديد انتبه له المفكرون بعد أن نصلت الأنسجة السفسطائية وبهتت ألوانها .

على أن الشك من مستلزمات الفكر الحر ومن موجبات تقدمه ، فأنبياء الله ورسله داخلهم الشك ، آمن إبراهيم عليه السلام بربه ، ولكن لم يطمئن قلبه حتى رأى من آيات الله ما رأى ، وموسى عليه سلام الله ناجى ربه : « رب أرنى أنظر اليك » ومحمد

عليه السلوات قال « أنا أولى بالشك من ابراهيم » ونحن ألسنا أولى بالشك من الأنبياء ؟». ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزالون تسئلون عمن خلق الله ، فقولوا : إن الله خالق كل شيء ، وهو قبل كل شيء ، وبعد كل شيء » وإذن فلا تنافي بين الشك والدين ، كما لا تنافي بين الشك واليقين ، لأن اليقين لا يزال بالشك كما يقول العسكري .

ومن فلاسفة الاسلام من اتخذ الشك المنهجي عكازا إلى نور اليقين وزعيمهم فخر الرازي ، فقد كان أستاذنا المرحوم (كراوس) المستشرق الألماني يعتبره زعيم المتشككين في الإسلام . وقد اصطنع المنهج الشكي أو الشك المنهجي حجة الاسلام أبو حامد الغزالي كما هو واضح في كتابه أو اعترافاته «المنقذ من الضلال». وعند الواقفية من الجهمية مسحة من الشك في تعاليمهم لاتصال جهم بن صفوان بالشكاك المحمود ، وسميت بالواقفية لأنها لم تقل بأن القرآن مخلوق أو ليس .

وكان الغزالي يعمل للعامة اعتبارا فوضع « إلجام العوام عن علم الكلام » وكتب السيوطي «صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام» وما أكثر تآمر الجهل والجمود على العلم والحرية، فقد اتخذ ديكارت منهجا للشك بنية الوصول إلى الحقيقة والكشف عن القوانين العامة للعلوم وثار على خزعبلات المشايخ le docte أو هيئة كبار العلماء في عصره . وكانت ثورته الفكرية قوامها هدم احتكار العلم فافتتح « المقال عن المنهج » بقوله « العقل أكثر الأشياء توزعا بين الناس بالعدل » وإذ خشي انقضاض العلماء الرسميين عليه قال «من أحسن الهروب عاش سعيدا» وكان لقواعد منهجه في الشك أبعد الأثر في توجيه الفكر الإنساني إلى أبعد الغايات ، وتابعه (كانت Kant) الذي نقد العقل ، ويكون P Bacon) الذي هدم « أصنام العقل » ليبني على أنقاضها منهجا جديدا للتفكير والبحث في العلوم . وكذلك (بيل Bayle) و (مونتي Montague) و (هيوم hume) وغيرهم من الشكاك المحدثين والأقدمين .

هذا هو نفوذ المذهب الفيروني في كل ماجد من بعده من أفكار حصرناها على نطاق واسع جدا يضيق المقام هنا عن ذكر تفاصيله وتقاريبه . أما أثر فيرون فقد كان مباشرا في تلاميذه الذين انخرطوا في مدارس للشك لكل واحدة لونها وصبغتها ، وإن كانوا يسمون les Zététiques كأنهم كانوا رواد الحقيقة ، فلما حاولوها ولم ينالوها سموا les Sceptique ولما تحيروا وتوقفوا حيالها سموا les Ephectiques، فملقوا أحكامهم ،فسموا les Aporétiques لأنهم لم يطمئنوا إلى وجود الحقيقة التي أشكلت عليهم .

وكان أركاسيلاس وكارنياد أشهر المدرسة الاحتمالية ، وكان أنسيدام وأغريبا أشهر المدرسة الجدلية ، ثم جاءت أخيرا المدرسة التجريبية التي اشتهر فيها ميندوت وسكستوس من الأطباء الشكاك أو الشكاك الأطباء الذين كانوا حربا على الفلاسفة والمناطقة والنيازقة ورجال الأخلاق وانتهوا إلى مذهبهم التجريبي في الشك الذي يقضي بالخضوع لتكاليف الطبيعة والرضوخ لقوانين الوطن وعوائده ومزاولة بعض الفنون ، واتباع ما تأتي به الظواهر .

محمد محمود زيتون

أحاديث عن جنوب الجزيرة

للاستاذ طه أحمد السنوسي

برهوت :

ذكر الامام أبو محمد عيسى الأندلسي في كتابه عيون الأخبار حكاية كان من بينها هذه العبارة : « ولكن سر إلى اليمن إلى واد في عدن يقال له (برهوت) وفيه بئر ... ويقول أبو محمد عبدالله الطيب بن عبد الله بن أحمد أبي مخرمة في مؤتنف الجزء الأول من تاريخ ثغر عدن بعد أن أورد حكاية الامام أبي محمد عيسى الاندلسي :

(كذا نقله عنه القاضي محمد بن عبد السلام الناشري في كتابه الوسوم بموجب دار السلام في صلة الوالدين والأرحام ، والمشهور أن برهوت واد بحضرموت ، وأن أرواح الفجار تأوي في بئر برهوت ، فإن صح ماذكره الأندلسي أنها بعدن ، فلعله السبب في اختصاص عدن بخروج النار الطاردة للناس إلى المحشر اه .